الفلسفـــــة وأنـــواعها عند الفـارابي

شفيـــعة بليـــلى
أستاذة محاضرة قسم»أ«
المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة- الجزائر

Résumé :

La sagesse chez El farabi deux types: La sagesse par condition, et la sagesse du tous .on lance la premier sur la maitrise trop et extrême dans n' importe quelle industrie, c'est-à-dire une sagesse restrictif par un domaine de la vie. Et on lance la deuxième sur «la philosophie» qui est la sagesse qui n'a pas des limites dans ses domaines, au contraire elle exige la perfection dans tous les domaines et elle utilise toutes les industries et toutes les vertus et toutes les sagesses. C'est pour ça que son propriétaire doit remplir certaines conditions qui font de lui un philosophe par vérité, et l'absence de ses conditions fera de lui un autre genre de philosophe, d›un autre genre de philosophie. Alors quelle sont les types de philosophie ?

El farabi dénomme la vrai et la bonne philosophie « la philosophie par vérité », elle est les vertus théorique et pratique avec discernement incertaine, avec la possibilité de les faire exister tous dans les nations. Une foi cette philosophie c'est installé par le premier président dans le publique, elle sera nommé la philosophie extérieur. Elle s'est installé par des méthode convaincante c'est a dire simuler toutes choses théoriques qui se trouvent en philosophie, et de le s'habituer aux vertus pratique. Tandis que la philosophie incomplète, son auteur est le faux philosophe qui ne connait pas encore le but pour le quel il a sollicité la philosophie.

Un autre genre de philosophie, une philosophie clinquante , c' est une philosophie de quelqu'un qui a appris la science théorique mais il ne s'est pas habitué aux actes vertueux par ce qu' 'il était attaché à ses caprices et à ses désires. Tandis que la philosophie de falsification est une philosophie d'une personne qui a appris la science théorique sans être préparé Par nature vers elle.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة بالحقيقة–الفلسفة البرانية–الفلسفةالناقصة–الفلسفة البهرج– الفلسفة الزور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقـــــــدمة

تعد بعض نصوص أبي نصر الفارابي(259 هـ/ 872 م-339هـ/950م) من أهم المصادر الفلسفية العربية الأولى التي قدمت تعريفا للفلسفة من حيث اشتقاقها اللغوي والاصطلاحي* ،ومن حيث أصلها وظهورها وانتقالها إلى العالم الإسلامي .فلقد تطرق الفارابي فيها إلى أهم المشتغلين بالفلسفة منذ أن نشأت حتى وصلت إليه بالذات.فهي من أهم المصادر التي يعتمد عليها في تاريخ الفلسفة المشائية .كيف لا وقد كان الفارابي من أعلم الناس بالفلسفة القديمة وخاصة اليونانية منها ،فلقد كان كما قال عنه القلقشندي:» فردا في زمانه...يضرب به المثل في معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره» 1

وتظهر أصالة الفارابي في نظرته لنشأة الفلسفة ،إذ يري أن هذه الأخيرة لم تظهر عند اليونان وإنما كانت في الحضارات الشرقية القديمة ، أي عند الكلدانيين وهم أهل العراق والمصريين و هي نظرة معاصرة ،تؤمن بوجود الفلسفة أينما وجدت الحضارة.

كما نجد عند الفارابي الحديث عن أنواع الفلسفة ما لا نجده عند غيره من الفلاسفة المسلمين،

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تعمّقه وخبرته بهذا العلم ،وكذا دقته في التمييز والتصنيف. لقد تناول بالدرس والشرح والتعليق جميع ما وصل إلى العالم الإسلامي من الفلسفة اليونانية.وقال عن أرسطو (384 ق.م-322 ق.م) أنه لو أدركه لكان أكبر تلاميذه .وبالفعل تحقق له هذا الشرف،فلم يكن من أكبر تلاميذ المعلّم الأول فقط،بل أضحى خليفته في عالم الفلسفة فاستحق لقب: «المعلم الثاني».

أولا :تعـــــريف الفلسفة لغة واصطلاحا

1-معنى الفلسفة

قال الفارابي:» إنّ اِسم الفلسفة يوناني، وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم « فيلاسوفيا « ومعناه إيثار الحكمة، وهو في لسانهم، مركب من « فيلا « ومن «سوفيا «، ففيلا الإيثار وسوفيا الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة ،وهو على مذهب لسانهم فيلوسوفوس، فإنّ هذا التغيير هو تغيير كثير من الاِشتقاقات عندهم ،ومعناه: المؤثر للحكمة «[2].

فالفلسفة إذن محبة الحكمة أو هي الحكمة على الإطلاق أو الحكمة العظمى، وعلى الرغم من هذا فلا يمكن أن يقال للفيلسوف أنّه حكيم على الإطلاق أو حكيم عظيم، وإنّما يقال له المحبّ للحكمة على الإطلاق والمؤثر لها. يقول الفارابي:

« وكان الذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمّونه الحكمة على الإطلاق، والحكمة العظمى، ويسمّون اِقتناءها العلم وملكتها الفلسفة ويعنون به إيثار الحكمة العظمى ومحبّتها، ويسمّون المقتني لها فيلسوفاً ويعنون المحبّ والمؤثر للحكمة العظمى»[3].

إذ أنّ الحكيم هو من عنده علم الواجب بذاته بالكمال، وسوى الواجب بذاته في وجوده نقصان عن درجة الأوّل فإذن يكون ناقص الإدراك، فلا حكيم إلاّ الأوّل لأنّه كامل المعرفة بذاته[4]. ويظهر أنّ فيثاغورس هو الذي وضع هذه اللفظة، فقال:» أنا لست حكيماً ولكن محبّاً للحكمة «.

ولذلك لم يلبث الفلاسفة أن وجدوا أنفسهم في موقف وسط، لا هو الغرور الأحمق الذي يحمل الإنسان على الاِعتقاد بأنّ لديه القدرة على إدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه ،ولا هو موقف القانع بالمحبة القلبية التي لا تدفع إلى عمل إيجابي ، بل يكون محبّاً للحكمة، تواقاً لمعرفتها، باحثاً عنها، فقيراً إليها، وتكون محبّته للحكمة لا حدود لها ولا نهاية لمطالبها،ولا يعرف لها مرسى تتوقف على شواطئه، لأنّها تطلّع دائم للمعرفة وللاِتصال أكثر بالموجودات المحيطة به، وهي موجودات لا يمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرفتها ومعرفة أسبابها إلاّ بالتعاطف معها والغوص في أعماق أعماقها، أي المعايشة الذاتية لها بالإشتراك معها في وجودها بكلّ حيوية وشعور فالفيلسوف كما يقول أمرسن: « ينظر إلى الأشياء كلّها نظرة صداقة، وتقديس، ويرى أنّ الحوادث كلّها نافعة وأنّ الأيام كلها مقدسة وأنّ البشر جميعهم إلهيون»[5]. ولهذا فهو في بحث مستمر لا يتوقف وفي درب شاق ليس له نهاية. إنّه الإنسان الذي « يجعل الوكد من حياته وغرضه من عمره الحكمة «[6] كما يقول الفارابي.

هذا ونجد كلمة « سوفوس» أو حكيم شائعة جداً بين الناس منذ العصور القديمة، فهي تطلق على الشخص المتزن الذي يزن الأمور بميزان العقل ولا يندفع وراء شهواته، وبذلك يكون المرجع الأوّل والملاذ في الأزمات وفيما يعترض حياة الناس من مشكلات متعددة النواحي[7]. وتطلق على من كمل وتفوّق جداً في صناعة أو فن أو علم، وتجمعت لديه خبرات وتجارب تعكس على النفس لوناً من الحزم والصبر على المكاره، مثل الطبيب والنجار والموسيقي والنحات وغيرهم. وتسمى الحكمة التي يتصف بها هؤلاء بالحكمة « بالشريطة «

يقول الفارابي:

«والحكمة قد تقال على الحذق جداً وبإفراط في أيّ صناعة كانت حتى يرد من أفعال تلك الصناعة ما يعجز عنه أكثر من يتعاطاها. وتقال حكمة بشريطة فإنّ الحاذق بإفراط في صناعة ما يقال أنّه حكيم في تلك الصناعة، وكذلك النافذ الرويّة والحثيث فيها قد يسمى حكيماً في ذلك الشيء الذي هو نافذ الرويّة فيه...»[8].

ويعني هذا أنّ الحكمة بشريطة هي الحكمة المقيدة بمجال من مجالات الحياة. فالإنسان يكون حاذقاً جداً عندما يعرف مهنته معرفة مفرطة، ويعرف كل كبيرة وصغيرة فيها ويعرف أسرارها ويستطيع أن يتجول فيها كما يشاء، فهو مسيطر عليها ورئيس فيها ولا يعرفها غيره أكثر منه حتى الذي يمارسها لأنّه برع وأبدع فيها بعد أن أحبّها جداً وعاش بكل شخصه بها ولها فأصبح مختصاً فيها. وفكرة الإختصاص هذه أكد عليها الفارابي كثيراً وإن كانت فكرة معاصرة، حين يقول:» إنّ كل موجود إنّما كون ليبلغ أقصى الكمال الذي له أن يبلغه بحسب رتبته في الوجود الذي يخصه. فالذي للإنسان من هذا، هو المخصوص بإسم السعادة القصوى وما لإنسان إنسان من ذلك بحسب رتبته في الإنسانية هو السعادة القصوى التي تخص ذلك الجنس»[9]. فغاية الفارابي هي سعادة البشرية التي لا تتمّ إلاّ بوجود مختصين في عدة صناعات أي حكماء بشريطة. ولقد إشتهر بعض الرجال في الفلسفة اليونانية بهذه الصفة وسمّوا بالحكماء السبعة، وهم حكماء إختلف المؤرّخون في أسمائهم وأجمعوا على أربعة منهم دون نزاع وهم:» طاليس» و»بياس» و»بتاقوس» و»سولون». وكانت تقوم حكمتهم على عبارات مأثورة قصيرة ينطقون بها.

ولهذا فهم بعيدون جداً عن صفة « الفلاسفة « الذين هم محبّو الحكمة التي ليست بشريطة والمراد بها الحكمة على الإطلاق وهي الفلسفة « فالحكمة على الإطلاق هي هذا العلم وملكته»[10] كما يقول الفارابي. فهي حكمة لا حدود لمجالاتها، ولأنّها حكمة تطلب الكمال في كل المجالات وتستعمل كل الصناعات وكل الفضائل وكل الحكم، فالفيلسوف في زمان الفارابي هو حكيم عصره على الإطلاق. ولاشك أنّ الفارابي أحسن مثال لنا، إذ أنّه كان حكيماً في كل المجالات: في المنطق، والرياضيات والميتافزيقا والطب والموسيقى.

هذا وبعد الحديث عن معنى مفهوم الفلسفة ،فإنّه يحقّ لنا أن نتساءل عن تعريف الفارابي لها.

2–تعريف الفلسفة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرّف الفارابي الفلسفة في كتابه «الجمع بين رأيي الحكيمين» فيقول:» أنّها العلم بالموجودات بما هي موجودة «[11].

فقوله:» أنّها علم» يعني أنّها معرفة يقينية تقف على علّة الشيء.

وقوله أنّها « علم بالموجودات» يعني أنّها علم بعمومها لا بتفاصيلها لأنّ العلم بالتفاصيل يرجع إلى العلوم الجزئية، وهي إنّما تفحص عن الجسم بالإجمال وعن الحياة بالإجمال فتشمل في حكمها كل جسم وكل حيّ.

وقوله « أنّها علم بالموجودات بما هي موجودة « يعني أنّها العلم بالعلل البعيدة التي ليس بعدها مطلب لمستزيد، والحال أنّ سائر العلوم تقصر عنايتها على العلل القريبة[12]. ونظراً إلى هذا فالفلسفة هي العلم الوحيد الذي يضع أمامنا صورة شاملة للكون، ولا يمكن للفلسفة أن تعطي لنا هذه النظرة إلاّ إذا كانت على اِتصال بالعلوم كلها، ولذلك نجد الفارابي يقول: «إنّ موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون: إمّا إلهية وإمّا طبيعية، وإمّا رياضية، أو سياسية. وصناعة الفلسفة هي المستنبطة لهذه والمخرجة لها، حتى أنّه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلاّ وللفلسفة فيه مدخل وعليه غرض، ومنه علم بمقدار الطاقة الإنسانية»[13].

فالفلسفة هي الأم الرؤوم التي تضمّ إلى صدرها أنواع المعرفة جميعاً، وهي شجرة عظيمة طيّبة، فروعها وأغصانها العلوم ومولدات الفكر البشري، ولهذا رأى الفارابي فيها أنّها «بالقوة، الفضائل كلها، ويسمّونها – كما يقول– علم العلوم وأم العلوم وحكمة الحكم وصناعة الصناعات ويعنون بها الصناعة التي تستعمل الصناعات كلها والفضيلة التي تستعمل الفضائل كلها، والحكمة التي تستعمل الحكم كلها «[14].

فالحكمة هي الفضائل كلها بالقوة، وليست بالفعل، لأنّ وجودها بالفعل يجعلها كاملة والكمال لله وحده ويجعل الإنسان يملكها، وهذا يتنافى مع تعريف الفلسفة بأنّها حبّ الحكمة وليس اِمتلاك الحكمة. وهي كما يراها الفارابي تكون للإنسان إذا حصلت له الفضائل الأربعة التالية: الفضائل النظرية، والفضائل الفكرية، والفضائل الخلقية، والفضائل العملية.

فالفضائل النظرية هي العلوم التي الغرض الأقصى منها أن تحصل الموجودات، التي تحتوي عليها معقولة متيقناً بها فقط. وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف ومن أين حصلت، وهي العلوم الأوّل المتمثلة في مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع ومبدأ العلية أو السببية، ومنها ما يحصل بتأمّل وعن فحص واِستنباط وتعليم وتعلّم[15].

والفضائل الفكرية هي القوة التي بها تستنبط وتميّز الأعراض التي شأنها أن تتبدل على المعقولات التي شأن جزئياتها أن توجد بالإرادة عندما يلتمس إيجادها بالفعل عن الإرادة في زمان محدود ومكان محدود عند وارد محدود طال الزمن أو قصر، عظم المكان أو صغر[16].

وأمّا الفضائل الخلقية فهي التي تصنع قواعد السلوك المؤدي إلى تحصيل السعادة وهي تشقها بالممارسة العملية والتجربة الحيوية، وبالتالي فهي مرتبطة من جهة بالفضائل الفكرية ومن جهة أخرى بالفضائل العملية، وهذه الأخيرة هي النوع الرابع من الفضائل، وهي التي يتمّ بها تعويد الجمهور الأفعال التي توصلهم إلى الكمال، ويكون بطريقتين: إحداهما بالأقاويل الإقناعية والأقاويل الإنفعالية، والطريق الآخر هو طريق الإكراه[17].

هذا ويجب أن نؤكد أنّ هذه الفضائل كما يراها الفارابي يرتبط بعضها ببعض ولا تفارق إحداها الأخرى وإنطلاقاً منها نجد الفارابي يجعل من الفلسفة صنفين: صنفاً به تحصل معرفة الموجودات التي ليس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإنسان فعلها وهذه تسمى الفلسفة النظرية، وصنفاً به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، كما تحصل القوة إلى فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية والفلسفة المدنية.

والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف من العلوم أحدهما علم التعاليم والثاني العلم الطبيعي والثالث علم ما بعد الطبيعيات وكل واحد من هذه العلوم الثلاثة يشتمل على صنف من الموجودات التي شأنها أن تعلم فقط.

والفلسفة المدنية صنفان أحدهما تحصل به الأفعال والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة والقدرة على أسبابها وبه تصير الأشياء الجميلة قنية لنا وهذه تسمى الصناعة الخلقية والثاني يشتمل على تحصيلها لهم وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية فهذه جمل أجزاء صناعة الفلسفة [18].

فالفلسفة إذن هي العلوم كلها بل هي أم العلوم، وبقيت كذلك حتى العصر الحديث حيث شبّهها ديكارت (1596 -1650) بشجرة أصلها الميتافزيقا وجذعها الطبيعة وفروعها العلوم الأخرى، ولقد تطورت العلوم من بعد هذا تطوراً مذهلاً وسريعاً، فإنفصلت عن الفلسفة بمنهجها كما ينفصل الأبناء عن الأم بحياتهم الخاصة. وساعدت هذه العلوم على حلّ مشاكل الإنسان اليومية خاصةً المادية منها و لم تعد لهذا الإنسان حاجة إلى الفلسفة بمعناها القديم بل نبذها أكثرهم ووصفها بكونها بحثاً عقيماً، لا جدوى منه، فهل هذا صحيح ؟ وما الذي بقي للفلسفة أن تبحث فيه بعد أن إنتزعت العلوم منها إختصاصها القديم ؟ وهل للفلسفة ميدان لا يزال قائماً ؟.

ويرى بعض مؤرخي الفلسفة مثل جون لاشولييه Lachelier (1832 -1918) ، وشارل فرنر Werner (1878 -1969) أنّ موضوع الفلسفة اليوم هو الميتافيزيقا التي تبحث في الغيبيات وفي الله الذي هو أشرف مواضيعها وهكذا تكون الفلسفة كما يقول الفارابي « أفضل علم لأفضل الموجودات » [19] ولقد سبق الكندي وقبله أرسطو، الفارابي في إعتبار الفلسفة الأولى هي التي تبحث في العلّة الأولى وهي أشرف موضوع للفلسفة.

هذا ويرى بعض الفلاسفة الآخرين أنّ الفلسفة مازالت تمارس فعاليتها القديمة على الرغم من تطور العلوم وانفصالها عنها. فلا تقوم لها قائمة خارج العلوم وبمعزل عنها، وعلى الرغم من إدراك الفلسفة لخصائصها المستقلة المتميّزة، فإنّها لا تنفصل عن العلم، وهي ترفض أن تأثم في حق النظر المسلم به كلّياً. وكلّ من يشتغل بالفلسفة (أو يتفلسف) لابدّ أن يكون عن معرفة بالمنهج العلمي 20. كما أن الفلسفة المحض لابدّ أن تمارس في الظروف الجديدة التي خلقتها العلوم الحديثة. وهذا أمر لا غنى عنه لصالح العلوم نفسها، لأنّ الفلسفة حيّة دائماً في العلوم ولا يمكن أن تنفصل عنها» [21].

إذن يمكن أن نقول: أنه على الرغم من تطوّر العلوم الذي يوحي بالإنفصال التام عن الفلسفة فإنّ حاجة كلّ واحد منهما إلى الآخر باتت في هذا العصر أكثر منها في أيّ وقت مضى لأنّ « الفلسفة بغير العلم تتدهور وتنحط إذ تنعزل عن تيّار النمو الإنساني وتقع أكثر فأكثر في سخافات المدرسية الكئيبة. والعلم بغير الفلسفة لا يصبح عاجزاً فقط بل مخرباً ومدمّراً «[22]. فالشخص الذي يريد أن يتفلسف اليوم على وجه نافع ينبغي أن يكون فيزيائياً ورياضياً وبيولوجياً ومؤرّخاً وعالم لغة. وما فلاسفة هذا العصر سوى علماء الفيزياء والكيمياء وعلماء الطبيعة إلى غير ذلك، لأنّ التفلسف الذي بموجبه يصل الفيلسوف إلى نظرة شاملة للكون يستدعي المعرفة بأكثر من علم لتحقيق تلك النظرة. وإضافةً إلى هذا ينبغي الإشارة إلى أنّ العلوم لم تدرج مواضيع الكون كلّه ضمن مواضيع بحثها ولا يمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن تدرجها أبداً لأنّها تأبى الإنصياع إلى الفهم العقلي الوضعي والإستجابة إلى صياغة المعادلات الرياضية مثل الأخلاق والدين والفنّ والحياة اليومية والتجارب الإنسانية وغيرها، بل لا يمكن لهذه المسائل أن يتفق الناس حولها ولا أن يحصلوا على جواب نهائي فيما يتعلق بها. يقول برتراند راسل(1872 -1970) :

«إنّ المسائل الممكن تحصيل أجوبة نهائية عنها توضع في العلوم، بينما تلك التي لم تحصل على جواب نهائي عنها حتى الآن تبقى لتكوّن البقيّة التي تسمى فلسفة... مثل هل في الكون وحدة في التصميم أو غاية ؟ أو هل هو مجرد تلاقٍ عارض لمجموعة من الذرّات ؟ وهل الخير والشّرّ لهما أهمية بالنسبة للكون أو أنّ أهمّيتها هي فقط بالنسبة إلى الإنسان ؟ إنّ كل هذه المسائل توسع من أفق تصوّرنا لما هو ممكن، وتغني خيالنا العقلي وتقلّل من التوكيد الدوجماتي الذي يحجب العقل عن التأمّل[23].»

ومن هنا نرى أنّ الفلسفة ما تزال قائمة وأنّ مواضيعها تتجاوز كلّ المواضيع التي حدّدها لها بعض الفلاسفة وهي لا تملك مجالاً واحداً تقتصر عليه لأنّ مجالها الخاص هو كلّ المجالات، فالفلسفة كما يقول جون فال (1888-1974) :»لا موضوع لها تتغذى منه بصفة خاصة، إنّ موضوعها العلوم كلّها والتجارب الإنسانية بأكملها « [24]، فالعالم كلّه موضوعها والكون كلّه ميدان إختصاصها، ولذلك فإنّ أيّ علم أو أيّ فنّ لا يمكنه أن يقوم مقامها لأنّها النور الذي يرى به الإنسان الفنون والعلوم ويعرف السّعادة، ولأنّها فوق كلّ ما ذكرناه ملكة وقدرة دائمة على الإبداع في أيّ مجال كان. يقول الفارابي:» ويسمّون إقتناءها (أي الحكمة على الإطلاق) العلم وملكتها الفلسفة « [25]، وبالتالي فالفلسفة ليست هي العلم ولكنّها هي الملكة التي يكتسبها الفيلسوف وتجعله قادراً على أن يصل إلى الحق في كلّ المجالات وهي بهذه الصفة قريبة جداً من الفلسفة بمعناها الحديث. ويظهر لنا أنّ تعاريف الفارابي للفلسفة ثريّة جدّاً. ولهذا يمكننا أن نراه من خلالها وكأنّه من عصر أرسطو أو ديكارت أو العصر الحديث، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلّ على بعد النظر والحدس الفلسفي اللّذين إمتازا بهما الفارابي، وهاتان الميزتان من سمات الفلاسفة بالحقيقة الذين يعيشون بأفكارهم مع كلّ الناس ومع كلّ الوجود في أيّ عصر.

وإذا كانت الفلسفة هذه هي صفتها أي أنّها ملكة، فهي غير خاصة بجميع الناس بالطبع ولكن ببعض منهم، تتوفر فيهم شروط خاصة ذكرها الفارابي. يقول الفارابي: « ينبغي لمن يتكلم بعلم الحكمة أن يكون شاباً فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا صحيح المزاج، مُحبّاً للعلم بحيث لا يختار على العلم شيئاً من أسباب الدنيا ويكون صدوقاً لا يتكلم بغير الصدق وأن يكون مُحبّاً للإنصاف بالطبع لا بالتكلّف، ويكون أميناً متديّناً عاملاً بالأعمال البدنية والوظائف الشرعية، غير مُخل بواجب منها. فمن أخلّ بواجب من الواجبات التي أمر نبيّ من أنبياء الله تعالى به ثمّ ورد على الحكمة فهو أهل أن يهجر ويترك» 26 ، وهذا لأنّ الإشتغال بالحكمة هو إشتغال بصناعة فاضلة لا يمكن أن يكون صاحبها إلاّ فاضلاً متخلّقاً، يستمدّ نور الفضيلة من أعماق نفسه الطاهرة. ويكون له ذلك إذا هذّبها طويلاً وتعلّم كثيراً وإستعدّ للتعليم جاهداً صادق النيّة لبلوغ هدف سامٍ وهو تحقيق السعادة القصوى في الدنيا والآخرة، ولهذا من كان فيلسوفاً بغير هذه الكيفيّة فإنّه ليس فيلسوفاً بالحقيقة ولكن فيلسوفاً من نوع آخر.

ثانيا:أنـــــواع الفلسفـــــة:

إنّ وجود شروط وصفات للحكيم والحكمة هي التي تفرّق بين نوع من الفلسفة ونوع آخر. ولعلّ ما كان سائداً في وقت الفارابي من غرور بعضهم بإدّعاءاتهم العلم والحكمة هو الذي أدّى بالفارابي إلى تبيين الفيلسوف الحق من بين غيره. أو إلى تبيين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواع الفلسفة وماهية كلّ منها وهي: الفلسفة بالحقيقة والفلسفة البرّانية والفلسفة الناقصة أو الباطلة والفلسفة البهرج والفلسفة الزور.

1-الفلسفة بالحقيقة

هي الفضائل النظرية والعملية ببصيرة يقينيّة مع القدرة على إيجادها جميعاً في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كلّ واحدة منها[27].

وأمّا الفيلسوف بالحقيقة هو صاحبها ويجب أن تتوفر فيه شروط وصفات هي:

-أن يكون حسن الأخلاق :أي أن يكون رحيما بالناس، يحترم غيره، قنوع، شجاع، زاهد، متواضع، حسن المعاملة،حلو اللسان، صادق، ناصح ،أمين،محسن، متعاون،جميل الأفعال. فالأخلاق إذن هي المبدأ والمحرّك والغاية للفلسفة وخاصةً العملية منها.

-أن يوافق الجمهور في الرسوم، والعادات التي يستعملها أهل زمانه.

-أن يحرّم ويحلّل على نفسه ماحُرّم وحُلل فى ملّة نبيّه.

-أن يكون محبّا للعلم، يطلبه حثيثا،فلا يستنكف من التعلّم،فإن أكبر الفلاسفة أمثال سقراط، وأفلاطون،وأرسطو كانوا كثيرا ما يستفيدون من تلاميذهم[28]

هذا ويكون الفيلسوف مع كل هذا عالماً وعارفاً بالعلوم الفلسفية، على كمالها، إن لم نقل بعلوم عصره كلّها، ويعرف الفضائل كلّها النظرية والفكرية والخلقية والعملية من كل الوجوه، ويعتبر التعقل فضيلة، فيهتدي بهدى الفكر ويتعقل الحياة. إنّه رجل تبلورت فيه أفكار ومشاعر أمّته، وانعكست فيه، ولهذا فهو ممثلها وينبغي له أن لا يقبع في الكهف أو يبقى في برج عاجي، لأنّه يجب عليه أن يؤدي رسالته الاجتماعية التي خوّلتها له طبيعته، ومن هنا فينبغي له أن يكون مستعداً بالطبع وليس بالتكلّف لتعلّم العلوم وإيجاد ما تعلّمه من العلوم النظرية والعملية في الجمهور على وجه كامل، وكلّما كانت قوته كبيرة على إيجادها كانت فلسفته أكمل وكان فيلسوفاً على الإطلاق، وهكذا يكون الفيلسوف بالحقيقة هو الفيلسوف على الإطلاق « الذي حصلت له الفضائل النظرية أوّلاً، ثمّ العملية ببصيرة يقينيّة، ثمّ أن تكون له قدرة على إيجادها جميعاً في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كل واحد منهم»[29].

وإضافةً إلى هذا يحاول الفيلسوف أن يبدع ويبتكر كما يبدع الفنّان، فهو يبتكر السبل التي بها يتصل بالجمهور ويعلّمه لأنّ الناس متفاوتون في الاستعدادات ويختلفون في الفطرة وهو ما يؤدي إلى تقسيمهم في أغلب الأحيان إلى الخاصة والعامّة.

ومن الواجب على الفيلسوف أن يعلّم الخاصة باستعمال البراهين اليقينيّة، ويعلم العامّة باستعمال الطرق الإقناعية والطرق التخيّلية. ويكون ذلك طوعاً أو كرهاً، فالتعليم إجباري لأنّ الناس محتاجون إلى مرشد ومعلّم يريهم ما ينبغي اعتقاده وما ينبغي فعله، ولا يتمكن الفيلسوف من تحقيق ذلك إلاّ إذا كانت له سلطة غير محدودة تسمح له بتطبيق هذه الشرائع التعليمية، وبالفعل فإنّ الفيلسوف على الإطلاق هو الرئيس الأوّل. وهو كذلك « بماهيته وبصناعته سواءً وجد من يقبل منه أو لم يجد، أطيع أو لم يطع، وجد قوماً ما يعاونونه على غرضه أو لم يجد كما أنّ الطبيب طبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرضى، وجد مرضى أو لم يجد، وجد آلات يستعملها في فعله أو لم يجد، كان ذا يسار أو فقر، إذ ليس يزيل طبّه إلاّ يكون له شيء من هذه. كذلك لا يزيل إمامة الإمام ولا فلسفة الفيلسوف ولا ملك الملك، إلاّ تكون له آلات يستعملها في أفعاله، ولا ناس يستخدمهم في بلوغ غرضه «[30].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر أنّ أحسن مثال للفيلسوف بالحقيقة هما أفلاطون (427 ق.م -347 ق.م) وأرسطو اللّذان أعطيا الفلسفة والطرق إليها والطرق إلى إنشائها [وإحيائها] متى اِختلت أو بادت [31].

2-الفلسفة البرّانية

هي التي يوجدها الرئيس الأوّل في العامّة بطرق إقناعية وتسمى أيضاً الفلسفة الذائعة المشهورة. وهي ذائعة مشهورة لأنّها تنتشر في صفوف الناس وتشتهر وتعرف، وهي برّانية لأنّها جديدة عن العامّة، لم يتوصّلوا إليها بأنفسهم وإنّما قام الرئيس الأوّل بتعليمهم إيّاها بتخييل ومحاكاة الأشياء النظرية الموجودة في الفلسفة، وبتخييل الموجودات بمثالاتها التي تحاكيها، وتعويدهم على الفضائل العملية حتى ترسخ في نفوسهم. ويسمّي الفارابي هذه الفلسفة البرّانية بإسم آخر هو الملّة، يقول الفارابي:» ومتى علمت (أي الموجودات) بأن تخيّلت بمثالاتها التي تحاكيها، وحصل التصديق بما خيّل منها عن الطرق الإقناعية، كان المشتمل على تلك المعلومات تسمية القدماء الملّة «[32].

فالفلسفة البرّانية والفلسفة الذائعة المشهورة والملّة شيء واحد. وهي الفلسفة بالحقيقة ولكن في صياغة تناسب مستوى العامّة. ونظراً إلى هذا فهي ليست نوعاً من أنواع الفلسفة التي سنتحدث عنها بعد هذا وهي الفلسفة الناقصة أو الباطلة والفلسفة البهرج والفلسفة الزور.

3-الفلسفة الناقصة أو الباطلة

صاحبها هو الفيلسوف الباطل وهو « الذي لم يشعر بعد بالغرض الذي له اِلتمست الفلسفة فحصل على النظرية أو على جزء من أجزاء النظرية فقط. فرأى أنّ الغرض من مقدار ما حصل له منها بعض السعادات المظنونة أنّها سعادة، التي هي عند الجمهور خيرات، فأقام علها طلباً لذلك وطمعاً في أن ينال به ذلك الغرض، وهذا ربّما نال به الغرض فأقام عليه وربّما عسر عليه نيل الغرض، فرأى فيما علمه منها أنّه فضل» [33] وأنّ فيه الكفاية. ويمكننا أن نقول أنّ الفيلسوف الباطل هو الذي لم تتوفر فيه شروط الفيلسوف بالحقيقة، وهي كما وضعها الفارابي منها ماهو فطري، ومنها ما تربي عليه في مجتمعه مثل السعادات والأفعال الجميلة. ويبدو أنّ أفلاطون ذكر ما يشبه هذه الشروط في كتابه السياسة حسب الفارابي. وهي شرائط تخلق في الفيلسوف اِستعداداً فطرياً لتعلّم العلوم الفلسفية على كمالها، ونظراً إلى هذا فإذا تقدم الفيلسوف لتعلم هذه العلوم و لم يكن موطأ نحوها وذلك لخلوّه من تلك الشروط أو أغلبها فإنّ فلسفته تكون فلسفة باطلة وناقصة. وتكون هذه الصفة أيضاً إذا كان هذا الفيلسوف قد تعلّم العلوم النظرية والعملية و لم تكن له قدرة على إيجادها في غيره، لأنّ حصر العلوم في نفسه دون نقلها إلى الناس بواسطة التعليم لا يحقق الغرض المرجو من الفيلسوف، وهو تحقيق الفضيلة الحقيقية التي تتمثل في السعادة والتي ينبغي أن يصل إليها ليس بمفرده، وإنّما مع أفراد أمّته، ولا يتمّ بلوغ هذه الغاية إلاّ بالعلم والعمل، فخير الفلاسفة أو الرؤساء هم الذين يعملون ويتعلّمون ويعلّمون غيرهم، ولهذا فإذا اِكتفى الفيلسوف بتعليم نفسه فقط، وتحقق لها بهذا التعليم بعض الخيرات مثل كسب المال والجاه والملذات التي يظن أنّها سعادات، فهو فيلسوف غافل وغير شاعر تماماً بالغرض السامي الذي لأجله تلتمس الفلسفة، وهذا هو حظ كل الفلاسفة الناقصين.

4-الفلسفة البهرج

إنّها فلسفة من يتعلّم العلوم النظرية و لم يرد و لم يعود الأفعال الفاضلة التي بحسب ملّة ما والأفعال الجميلة التي في المشهور بل كان تابعاً لهواه وشهواته في كل شيء من الأشياء اِتفق [34] .إنّ هذا الفيلسوف مثل الفيلسوف الباطل الذي لا يدرك غاية الفلسفة بل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو لا يدرك حتى العلاقة بين العلوم النظرية والعملية، ولقد ذكرنا أنّ بين الفضائل الفلسفية الأربعة وهي النظرية والفكرية والخلقية والعملية اِرتباط وثيق جداً. فإذا كان هذا الفيلسوف لا يطبق ما ينبغي عمله بعد علمه، فهو بعيد عن الفيلسوف الذي تنتظره الأمّة، إذ أنّه يتبع هواه وشهواته في كل شيء ولا يضبط نفسه ولا يروّضها ولا يعوّدها الأعمال الفاضلة والجميلة. فالأخلاق لها أهمية أكبر من أهمية العلم وذلك لأنّ العلم لا يساوي شيئاً إذا كان صاحبه غير متخلّق، وأحسن مثال يذكره الفارابي في كتابه « الفصول المنتزعة »، هو مثال شخصين أحدهما علم ما في كتب أرسطو طاليس كلّها من الطبيعية والمنطقية والإلهية والمدنية والتعاليم وكانت أفعاله كلّها أو جلّها مخالفة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك عند الجميع، والآخر غير عالم بعلوم الأوّل ولكن أفعاله كلها موافقة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك، فإنّ هذا الثاني أقرب إلى أن يكون فيلسوفاً من الأوّل وكان أقدر على أن يحوز ما قد حازه الأوّل، من الأوّل على أن يحوز ما قد حازه الثاني، لأنّ هذا الأخير لا يمنعه شيء من تعلّم العلوم النظرية بينما الأوّل تصدّه عاداته المتمكنة فيه من فعل الأفعال الفاضلة والجميلة. إذ أن الفلسفة في بادئ الرأي وفي الحقيقة هي أن يحصل للإنسان العلوم النظرية وأن تكون أفعاله كلها موافقة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك وفي الحقيقة[35]. ولاشكّ أنّ هذا الفيلسوف لا يلبث أن ينسى شيئاً ما تعلّمه مع مرّ السنين.

ويمكننا أن نقول أنّه لا يلبث أن يفقد شيئاً فشيئاً البهرج الذي يزدان به كما تفقد المرأة المساحيق التي تتبهرج بها فيبدو وجهها على حقيقته.

5-الفلسفة الزور:

إنّ الفلسفة الزور هي فلسفة من تعلّم العلوم النظرية من غير أن يكون معدّاً بالطبع نحوها[36] ومن غير أن يكون له الإستعداد الفطري الضروري لذلك. فالإنسان لا يمكنه أن يكون فيلسوفاً إلاّ إذا كان أهلاً لذلك، ومن تجاوز هذا المبدأ خدع نفسه وخدع الناس فصار مزوّراً، وباعتباره إنسان سرعان ما يظهر عليه طلاء التزوير والتزييف بنسيانه العلوم النظرية التي تعلّمها، فينكشف أمره. وهو في هذا مثل الفيلسوف البهرج، يقول الفارابي: «إنّ المزوّر والبهرج، وإن أكملا العلوم النظرية، فإنّهما في آخر الأمر يضمحلّ ما معهما قليلاً قليلاً، حتى إذا بلغا السّن الذي سبيل الفضائل أن يكمل الإنسان فيها، اِنطفت علومهما على التمام، أشدّ من اِنطفاء نار هرقليطس الذي يذكره أفلاطون. وذلك أنّ طباع الأوّل وعادة الثاني تقهران ما يذكرانه فيه في شبابهما وتثقلان عليهما حفظ ما قد اِحتملا الكدّ فيه فيهملانه فيبتدئ ما معهما يضمحلّ قليلاً قليلاً إلى أن تبطل وتنطفئ فلا يجنيان له ثمرة »[37].

الخـــــاتمـــــة

هذه هي أنواع الفلسفة كما يراها الفارابي والذي نستنتجه من تأمّلنا لها أنّ الفلسفة بالحقيقة لا يمكن أن تكون لأيٍّ كان إلاّ إذا توفرت فيه شروط حصولها له لأنّ دربها شاقّ وطويل، ولأنّ غايتها السعادة القصوى التي لا سبيل لها إلاّ المعرفة الصحيحة والعمل بها، ونظراً إلى هذا فإنّه يمكننا أن نقول مع الفارابي:

« إنّ شاهق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر وسُرداق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر...»[38].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش الدراسة

*إلى جانب بن إسحاق الكندى،الذى حدّها فى رسالته: «فى حدود الأشياء ورسومها»

1-القلقشندى،صبح الأعشى فى صناعة الانشاء،الموسوعة العامة للتأليف والترجمة والطباعة

والنشر ،ج1،ص454

2-ذكره إبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،دار الثقافة بيروت ،لبنان1979 ، ج3، ص224.

3-الفارابي، تحصيل السعادة، تحقيق وتقديم جعفر آل ياسين، دار الأندلس بيروت، ط2، 1983، ص88.

4-الفارابي، التعليقات، ضمن رسائل الفارابي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن ،الهند 1349هـ، ص9.

5-ذكره كارل ياسبرس، عظمة الفلسفة، ترجمة عادل عوا، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1975، ص72.

6-الفارابي، نقلاً عن إبن أبي أصيبعة، عيون الأطباء، ج3، ص224.

7-محمد علي أبو ريان، الفلسفة ومباحثها، ،(مع ترجمة كتاب المدخل إلى المتافزيقا لبرغسون)،الناشر دار الجامعة المصرية،الطبعة الثالثة ،1974. ص54-55.

8-الفارابي، تحصيل السعادة، ص89.

9- المصدر نفسه، ص81.

10- المصدرنفسه ، ص81.

11-الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تقديم وتعليق، آلبير نصري نادر،المشرق بيروت، الطبعة 3، 1968، ص80.

12-أنظر دنيا سليمان، التفكير الفلسفي الإسلامي، الناشر مكتبة الخانجى بمصر، توزيع مكتبة الرشاد بالدار البيضاء ،المغرب ،الطبعة الأول ، 1967، ص25.

13-الفارابي، كتاب الجمع، ص80.

14-الفارابي، تحصيل السعادة، ص88-89.

15-أنظر المصدر نفسه ،ص49.

16-المصدر نفسه ، ص68.

17-راجع الفارابي، تحصيل السعادة، ص49-68.

18-الفارابي، كتاب التنبيه على سبيل السعادة ضمن رسائل الفارابي، ص19-20.

19-الفارابي، فصول منتزعة، تحقيق وتعليق: فوزي متري النجار، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1971 ، ص62.

20- كما يرى كارل ياسبرس نقلاً عن عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، ط2، 1979، ص22.

21- المرجع نفسه، ص21.

22-ول ديورنت، مباهج الفلسفة، تر: أحمد فؤاد الأهواني، مقدمة إبراهيم بيومي مذكور مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995، الكتاب 1، ص21.

23-برترا ند راسل، مشاكل الفلسفة، ترجمة محمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عماد الدين اسماعيل عطية محمود هنا، مطبعة الشرق، ط1، 1947، ص132-136 بتصرف.

24-Wahl (Jean), L›expérience Méta-physique. Payot, Paris. p222.

25-الفارابي، تحصيل السعادة، ص88.

26-الفارابي، رسالة زينون، ضمن رسائل الفارابي، ص9.

27-الفارابي، تحصيل السعادة،ص89.

28- أنظر:الفارابي، شرح رسالة زينون الكبير، ضمن رسائل الفارابي، ص9-10.

29-الفارابي، تحصيل السعادة، ص89.

30-المصدر نفسه ، ص97.

31-المصدر نفسه ، ص97.

32-الفارابي، تحصيل السعادة، ص90.

33-المصدر نفسه ، ص96.

34-الفارابي، تحصيل السعادة، ص95-96.

35-الفارابي، فصول منتزعة، ص100-101.

36-الفارابي، تحصيل السعادة، ص95-96.

37-المصدر نفسه ، ص96.

38-الفارابي، شرح رسالة زينون الكبير: ضمن رسائل الفارابي، ص8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com